

خطبة الجمعة - الخطبة ٦٣٨ : العفو والصفح.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٤١١-١٩٩٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده، ونستعين به ونسترشده، ونحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جد به وكفر. وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممّن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

العفو والصفح :

أيها الأخوة الكرام: الله جل جلاله عفو كريم، يغفو عن السيئات، ويغفو عن كثير، فإذا تاب العبد توبةً نصوحه أنسى الله حافظيه، وجوارحه، وبقاع الأرض جميعها خطاياه وذنبه. فالغفو كما يقول علماء اللغة أبلغ من المغفرة لأن الغفران يُشعر بالستر، بينما العفو يشعر بالمحو، والمحو أبلغ من الستر، وقد أمر الله جل جلاله نبيه الكريم عليه أتم الصلاة والتسليم بالغفو والصفح، فقال تعالى:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

[سورة الأعراف: ١٩٩]

وقال أيضاً:

﴿فَاصْفَحْ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ﴾

[سورة الحجر: ٨٥]

وقد فهم النبي عليه الصلاة والسلام العفو بأن تعطي من حرملك، وأن تصل من قطعك، وأن تعفو عن ظلمك، وقد أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال جل جلاله:

﴿فَاعْفُوا وَاصْفِحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

[سورة البقرة: ١٠٩]

أيها الأخوة الكرام: أجمع علماء التفسير على أن قوله تعالى:

﴿وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةُ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَيُعْفُوا وَلَيُصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة النور : ٢٢]

أجمع علماء التفسير على أن المقصود بكلمة أولي الفضل سيدنا الصديق رضي الله عنه، كان يعطي مسطحاً، فهو من أقربائه الفقراء الذين هاجروا في سبيل الله.. حينما أشاع في المدينة حديث الإفك امتنع عن العطاء، فعاتبه الله جل جلاله وقال:

﴿وَلَيُعْفُوا وَلَيُصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾

أي إذا كنت مكلفاً من قبل الحق جل جلاله أن تعفو عن أشاع في المدينة حديث الإفك الذي لا يحتمله أب فكيف بما دون ذلك من الذنب؟ إذا كان هذا الذنب الذي لا يحتمل قد أمر المؤمن أن يغفو عن قائله فكيف فيما سوى ذلك من الذنب؟

الاتصال بالله يعلم الإنسان العفو و الصفح :

أيها الأخوة الكرام: سؤال يطرح نفسه أمامنا، لماذا يغفو الناس وينتقم الآخرون؟
الجواب: الإنسان إذا اتصل بالله العفو الكريم اشتقت منه بعضًا من هذا الخلق العظيم، وإذا استقرت الرحمة في قلب الإنسان فإنها تقip على خصومه بالعفو والغفران، فيصبح العفو أحب إليه من الانتقام، وإذا علم الإنسان أن خصميه بشكل أو بآخر أخ له في الإنسانية فإذا انتقم منه خسره، وإذا عفا عنه ربه، وأن يربح الإنسان أخيه خير له من الدنيا وما فيها عندئذ يرى في العفو غُنمًا، وفي الانتقام غُرماً.

أيها الأخوة الكرام: إذا أيقن الإنسان أن العفو سلم يرقى به إلى عز الدنيا والآخرة، وأن الانتقام دركات يهوي بها إلى ذلٍّ ومقت يلاحقه حتى الموت، آثر العفو على الانتقام، وإذا علم أبناء المجتمع الواحد أنه بالعفو تتسع دائرة الصداقات والمودات فيصبح المجتمع كالبنيان المرصوص، وبالانتقام تنشو العداوات والأحقاد حتى تصل بالمجتمع إلى أحط الدركات صار العفو دينهم.

النبي الكريم أسوتنا الحسنة وقدوتنا الصالحة في العفو :

يا أيها الأخوة الكرام: تعالوا بنا إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم، أسوتنا الحسنة، وقدوتنا الصالحة، ومثنا الأعلى الذي بعثه الله معلماً للبشرية، ورحمة للإنسانية، النبي علمنا بلسانه، وعلمنا بأفعاله، ولعل أفعاله باللغة التأثير لأنها حقيقة مع البرهان عليها.

تعالوا بنا لنرى النبي صلى الله عليه وسلم، لنرى نبينا الأكرم ومعلمنا الأعظم وهو يدخل مكة فاتحاً، يدخل مكة التي اتمررت على قتله، مكة التي أخرجته، مكة التي عذبت أصحابه، مكة التي

نكلت بهم، مكة التي قاطعته، مكة التي كذبته، مكة التي قاتلته في بدر وأحد والخندق، ومكة التي ألبت عليه العرب جميعاً.

لقد ألقى أهلها السلاح، ومدوا إليه أعناقهم ليحكم فيهم ما يرى، إنهم في قبضته، أمره نافذ في رقبتهم، حياتهم جميعاً معلقة بين شفتيه، وهذه عشرة آلاف سيف تتوجه يوم الفتح فوق ربا مكة، تأتمر بأمره، وتنظر إشارة منه، إنها تستطيع أن تهلكهم في لمح البصر.

لقد دخلها عليه الصلاة والسلام يوم الفتح الأعظم دخول المتأدبين الشاكرين، معترف بعظم الفضل، ولم يدخلها دخول المتكبرين المتجبرين ثملاً بنشوء النصر. لقد سار النبي عليه الصلاة والسلام في موكب النصر يوم فتح مكة حانياً رأسه حتى تعذر على الناس رؤية وجهه، وحتى كادت ذئابة عمامته تلامس عنق بعيره، مردداً بينه وبين نفسه ابتهالات الشكر المبللة بالدموع. سأل أعداءه بعد أن استقر به المقام: يا معاشر قريش، ويا أهل مكة فasherabت إليه الأعناق، وزاغت الأبصار، سألهما ما تظنون أني فاعل بك؟ وصاحت الجموع الوجلة بكلمة واحدة، لأنما كانوا على اتفاق في ترديدها، قالوا: خيراً، أخْ كريم وابن أخْ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. أيها الأخوة الكرام: لقد غُمر المذنبون الذين كانوا ينتظرون القصاص، ويستحقونه بأنبل عفو، وأجمل صفح، حتى قال أبو سفيان الذي ناصب رسول الله العداء أعوااماً طويلة، قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما أرحمك! وما أحكمك! وما أوصلك! وما أكرنك!

يا سيدِي يا رسول الله؛ ما أجمل عفوك عند المقدرة، وما أعظم نفسك التي سمت كل هذا السمو فارتقت فوق الحقد، وفوق الانتقام، لقد ترتفعت عن كل عاطفة دنيا، وبلغت من النبل فوق ما يبلغ الإنسان، لم تكن تعرف العداوات، بل لم تكن تزيد أن تقوم بين الناس، لقد مكناك الله من عدوك فقدرت وغفوت، فضررت بذلك للعالم كله ولأجياله مثلاً أعلى في العفو والصفح، فلم تجعل من يوم فتح مكة يوم تشفٍ ولا انتقام بل جعلته يوم برٍ ورحمة وسلام.

أيها الأخوة الكرام: عفوه صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة يذكرنا بعفوه عن أهل الطائف الذين كذبوه أشد التكذيب، واستخفوا بدعوته واستهزؤوا بها، بل أغروا به سفهاءهم وصبيانهم. جاءه جبريل الأمين يستأننه أن يطبق عليهم الجليلين، فما زاد عن أن قال:

((.. لا يا أخي، اللهم اهد قومي إنهم لا يعلمون، أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لما يشرك به شيئاً))

[منقول عليه عن عائشة]

لم يتخلّ عن قومه، لقد عفا عنهم، والتمس لهم العذر، وتوسّم بأبنائهم الخير، هذا عن عفوه الجماعي، فماذا عن عفوه الفردي؟

يتجلّى عفوه الفردي بالصفح عن نفر من المشركين بالغوا في عداوتهم وأذيّتهم، ويوم فتح مكة ضاقت عليهم الأرض بما رحبّت، وضاقت عليهم أنفسهم، وهاموا على وجوههم، ومن هؤلاء: صفوان بن أمية، الذي شد رحاله صوب جدة، ليحرر منها إلى اليمن ، واشتد إشراق عمير بن وهب عليه، وصمم أن يسترده من يد الشيطان بكل وسيلة، وذهب مسرعاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام، قال له: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه قد خرج هارباً منك ليقذف بنفسه إلى البحر فأمنه صلى الله عليك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: هو آمن، قال: يا رسول الله هو آمن؟ ثم قال: يا رسول الله أعطيك آيةً يعرف بها أمانك؟ أعطاه النبي عليه الصلاة والسلام عمامته التي دخل بها مكة. فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب البحر، قال: يا صفوان فداك أبي وأمي، الله الله في نفسك أن تهلكها، هذا أمان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتكم به، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، عزه عزك، وشرفه شرفك، قال صفوان: إني أخاف على نفسي. قال: هو أحل من ذلك وأكرم. فرجع معه حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صفوان للنبي عليه الصلاة والسلام: إن هذا يزعّم أنك أمنتني، فقال عليه الصلاة والسلام: صدق. قال صفوان: فاجعلني في الخيار شهرين. فقال عليه الصلاة والسلام: أنت في الخيار أربعة أشهر. وفيما بعد أسلم صفوان، وسعه عفو النبي. وروي أن أعرابياً جاء النبي صلى الله عليه وسلم يطلب شيئاً، فأعطاه ثم قال: أحسنت إليك يا أعرابياً؟ قال: لا ولا أجملت. فغضب المسلمين وقاموا إليه، فأشار إليهم صلى الله عليه وسلم أن كفوا، ثم قام ودخل منزله فأرسل إليه وزاده شيئاً، ثم قال له: أحسنت إليك؟ قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحبيت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك. قال: نعم. فلما كان الغد جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم، إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه، فزعم أنه رضي، وكذلك يا أعرابياً؟. قال: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. أما التعليق - تعليق النبي عليه الصلاة والسلام على هذه الحادثة - فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((مثلي ومثل هذا كمثل رجل له ناقة شردت عنه، فاتبعها الناس فلم يزيدواها إلا نفوراً، فقال لهم: خلوا بيّني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم بها، فتوجه لها بين يديها، فأخذ من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستنارت وشد عليها رحلها، وقال عليه الصلاة والسلام: إني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار))

[البزار عن أبي هريرة]

إن الرسول الحليم صلى الله عليه وسلم لم تأخذه الدهشة لجحود الأعرابي أول الأمر، وعرف طبيعة هذا الصنف من الناس، مردوا على الجفوة في التعبير، والإسراع بالشر، وأمثال هؤلاء لو

عولجوا بالعقوبة، لقضت عليهم، ولما كانت ظلماً، ولكن العظام أصحاب القلوب الكبيرة لا ينتهيون بمصائر العامة إلى هذا الختام الأليم، إنهم يفيضون من رحمتهم وحالمهم على ذوي النزق، حتى يلجنونهم إلى الخير إلقاءً، إن هذا الأعرابي الذي اشتري النبي الكريم صلى الله عليه وسلم رضاه بهذا المال لا يبعد أن تراه بعد أيام، وقد كلف بعمل خطير، أن يقدم فيه الغالي والرخيص عن طيب خاطر، وما المال إلا قمام الأرض تستباح به الرواحل الجامحة، لقطع عليها المفازات الشاسعة. روى الإمام مسلم عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت:

((ما ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ وَلَا امْرَأًا وَلَا خَادِمًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا نَيَلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمُ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهِكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ))

[متفق عليه عن عائشة]

ثمار العفو :

وقد أثر عنه صلى الله عليه وسلم أنه لم ينتقم من أحد لنفسه فقط. وقد تخلق الصحابة الكرام بأخلاق نبيهم العدنان في العفو والصفح، فقد روى البخاري عن ابن عباس، عن عيينة بن حصن قال لعمر بن الخطاب: يا بن الخطاب، ما تعطينا الجزل ولا تحكم علينا بالعدل؟ فغضب عمر، حتى همّ أن يوقع به، فقال له الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين إن الله قال لنبيه:

﴿خُذِ الْعُفُوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

[سورة الأعراف: ١٩٩]

وإن هذا من الجاهلين فقال ابن عباس: فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وفافاً عند كتاب الله عز وجل. وأورد السيوطي في الجامع الصغير حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه أبو هريرة:

((من كظم غيظه، وهو يقدر على إنفاذ ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً))

[السيوطى عن أبي هريرة]

انظروا إلى ثمار العفو التي نوه بها النبي صلى الله عليه وسلم، إنها الأمن والإيمان، الأمن مع الخلق، والإيمان مع الحق. فهذا الذي يؤثر الانتقام على العفو، يجعل الجو المحيط به ضاغطاً، وعلاقاته مع الآخرين متوتراً، ويكون انتقامه تربة خصبة لانتقام مضاد فيتوقع المنقم الشر، وتوقع الشر شرّ من وقوعه، وهكذا يفقد الأمن، يفقد أثمن ما في الحياة النفسية، قال تعالى:

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَإِنَّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾

[سورة الأنعام : ٨٢-٨١]

أما إذا آثر الرجل العفو على الانتقام، فقد جعل الجو المحيط به ودياً، وجعل علاقاته بالآخرين مريحة، وجعل من أعدائه الأداء أصدقاء حميمين، قال تعالى:

﴿وَلَا تَسْنُوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَانَهُ وَلِيًّا﴾

حميم

[سورة فصلت: ٣٤]

هذا عن أول ثمرة من ثمار العفو، فماذا عن ثمرة الإيمان؟

ثمار الإيمان :

إن الإنسان إذا عفا عن أخيه كان أقرب إلى ربه مما لو انتقم منه، لأن الخلق كلهم عباد الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله، وفي الحديث القديسي:

((إذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي))

[البخاري]

إذا كانت إماتة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان، فما بالك بالعفو عن إنسان حيث بالعفو عنه يبدل خوفه أمناً وضيقه فرجاً وبأسه أملاً؟ إن العفو يدل على الإيمان ويعزده، ويزيد فيه ويجدده، فالإنسان بنيان الله وملعون من هدم بنيان الله.

حينما تصح التوبة، ويتحقق الندم، وتصدق العزيمة على ترك الذنب، عندئذ يصبح العفو حياة للمذنب، كما كان القصاص حياة للمجتمع، ويفدو فرصة ثمينة ينالها المذنب، ليؤكد صحة توبته، وعظيم ندمه، وصدق عزيمته على ترك ما اقترفت يداه، وليؤكد أيضاً الجانب الخير في الإنسان، وربما كان هذا المذنب الذي عُفي عنه علمًا من أعلام الأمة، ومصلحاً من كبار مصلحيها، وقادئاً فذاً من قادتها، والتاريخ الإسلامي حافل بمثل أولئك الذين أصبحوا من قادتها الأبطال وعلمائها الأعلام، وأوليائها المقربين كعمرمة بن أبي جهل. منْ عكرمة بن أبي جهل؟ هو الذي عادى النبي صلى الله عليه وسلم أشد العداء، وأدى أصحابه أفح الإيذاء، وهو أحد صناديد قريش المعودين، وأبرز فرسانها المرموقين، وهو ابن أبي جهل، وجبار مكة الأول، وزعيم الشرك الأكبر، ولم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بالعفو عنه بل وجه أصحابه قائلاً:

((سيأتكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً فلا تسبووا أباه فإن سبَّ الميت يؤذى الحي، ولا يبلغ الميت))

[الحاكم عن عبد الله بن زبير]

وقد عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: لا أدع نفقة كنت أنفقتها في الصد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قاتلاً قاتلته صدًّا عن سبيل الله إلا قاتلت ضعفه في سبيل الله. وفي اليرموك لما اشتَرَّ الكرب على المسلمين نزل عن جواده، وكسر غمد سيفه، وأوغل في صفوف الروم، فبادر إليه خالد بن الوليد، وقال: لا تقل يا عكرمة فإن قتلك سيكون شديداً على

ال المسلمين ، فقال : إِلَيْكَ عَنِي يَا خَالِد ، لَقَدْ كَانَ لَكَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابِقَةً أَمَا أَنَا وَأَبِي فَقَدْ كَنَّا مِنْ أَشَدِ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَعْنَا أَكْفَرَ عَمَّا سَلَفَ مِنِّي .. لَقَدْ قَاتَلَتْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَأَفْرَّ مِنَ الرُّومِ الْيَوْمَ ؟ إِنَّ هَذَا لَنْ يَكُونُ أَبْدًا ..

المؤمنون الصادقون إذا أصابهم البغي هم ينتصرون :

إن الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة الصحيحة، التي تحض على العفو - هذه ملاحظة مهمة جداً - لا تعني، ولا تزيد أن يكون العفو مرتعًا للمجرمين يسرحون ويمرحون في رحابه، ولا تعني ولا تزيد أن يكون العفو حصنًا لهم يحميهم من حكم العدالة فيهم، ولا تعني ولا تزيد أن يكون العفو منطلاً جديداً للعدوان على دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم قال تعالى:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَئِكُمُ الظَّالِمُونَ﴾

[سورة البقرة: ١٧٩]

كان أبو عزة الجمحي الشاعر من أسرى بدر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد حدد مبلغ أربعة آلاف درهم فداءً لكل أسير، فكلم أبو عزة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، لقد عرفت ما لي من مال، وإنني ذو حاجة، وذو عيال، فامنن علىي، فمن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه، وأخذ عليه العهد ألا يظهر عليه أحداً لكنه نقض العهد، وعاد إلى ما كان عليه من سب النبي صلى الله عليه وسلم، وهجاء أصحابه، وحضر الناس على قتاله. وفي يوم أحد ظفر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله لا تقتلني وامنن علىي ودعني لبنيتي، وأعاهدك ألا أعود، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:

((لا والله لا أدعك تمسح عارضيك بأسنار الكعبة وتقول للناس: خدعت محمدًا مرتين، إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين))

[مسلم عن أبي هريرة]

ولم يعف عنه.

أيها الأخوة: لهذا ليس من العفو أن نستسلم لعدو غاصب، سلب الأرض، وانتهاك الحرمات، وأفسد العقائد، وأفرغ القيم، وزور التاريخ، فالمؤمنون الصادقون إذا أصابهم البغي هم ينتصرون. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، والحمد لله رب العالمين.

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولِي الصالِحِينَ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبدَ وَرَسُولَهُ، صاحِبَ الْخَلْقِ الْعَظِيمِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

إصلاح ذات البين :

أيها الأخوة الكرام : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس، إذ رأينا ضحك، حتى بدت ثنياه، فقيل له: مم تضحك يا رسول الله؟ قال:

((رجلان من أمتي جثياً بين يدي ربِّي عزَّ وجلَّ فقال أحدهما: خذ مظلومتي من أخي. قال الله تعالى: أطِّ أخاك مظلومته.. فقال: يا ربِّ إله لم يبقَ من حسناتي شيءٌ، فقال صاحبه: يا ربِّ فليحمل من أوزاري. ففاضت عيناً رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدموع، ثم قال: إن ذلك اليوم ليوم عظيم، يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يُحمل عنهم أوزارهم. ثم قال الله تعالى للطالب لحقه: ارفع بصرك فانتظر إلى الجنان فيرفع رأسه فيرى ما أعجبه من الخير والنعمة. فقال: لمن هذا يا رب؟ فقال الله تعالى: لمن أعطاني ثمنه. قال: ومن يملك ذلك يا رب؟ قال: أنت، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: أشهدك يا رب أني قد عفت عنه، فقال الله تعالى: خذ بيدي أخيك، ثم أدخله الجنة))

[المستدرك عن أنس بن مالك]

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ))

فإن الله يصلح بين عباده يوم القيمة، الله سبحانه وتعالى يأمرنا أن نصلح ذات بیننا، وقد فهم بعض العلماء هذه الآية على ثلاثة مستويات؛ المستوى الأول: أن نصلح أنفسنا التي بين جوانحنا، بتعریفها ربها، وحملها على طاعته، والتقرب إليه لتسعد بقربه.

والمستوى الثاني: أن نصلح كل علاقة بيننا وبين الآخرين الأقارب منهم والأبعد، عن طريق معرفة الحقوق والواجبات والوقوف عند حدود الشرع واعتماد العدل والإحسان. والمستوى الثالث: أن نصلح فيما بين الناس، بحملهم على العفو والترغيب فيه، وبيان ثماره اليابعة، ونتائجها الطيبة، ولو كلفنا وقتاً وجهداً مملاً لأننا إن فعلنا ذلك فإنما نطبق قوله تعالى:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة الأنفال: 1]

أولى الناس بالعفو أقدرهم عليه :

أيها الأخوة الكرام: في ختام هذا الموضوع طوبى لمن كان مفتاحاً للخير مغلقاً للشر، وطوبى لمن أصلح بين الناس، ووفق بينهم، وطوبى لمن استعمله الله في الخير.. إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك.

من عادة الكريم أنه إذا قدر غفر، وإن رأى زلة ستر، فلا سؤدد مع الانتقام، وأولى الناس بالعفو أقدرهم عليه، وأقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب، وكفى بالمرء إثماً أن يغضب إذا قبل له اتق الله، ولا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، وقال خليفة عُرف بالحلم: إني آنف أن يكون في الأرض جهل لا يسعه حلمي. وقيل لابن المبارك رحمة الله تعالى: أجمع لنا حسن الخلق في كلمة واحدة؟ فقال: ترك الغضب. وقال الأحنف: إياكم ورأي الأوغاد فقيل له: وما رأي الأوغاد؟ فقال: الذين يرون الصفح والعفو عاراً ومحماً، قال بعضهم:

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف بما جنى من الذنب واقتصر

لقوله:

﴿قُلْ لِّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾

[سورة الأنفال: ٣٨]

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من وليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، لك الحمد على ما قضيت، نستغرك ونتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك. اللهم أعطنا ولا تحربنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ودنيانا التي فيها معاشرنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زادنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك. اللهم استر عوراتنا، وآمن روؤاتنا، وآمنا في أوطنانا، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخيماً، وسائر بلاد المسلمين. اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك، ومن الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك، نعوذ بك من عصال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء. اللهم صن وجوهنا باليسار، ولا تبذلها بالإقتار، فنسأ لك شر خلقك ونبتلى بحمد من أعطى، وذم من منع، وأنت من فوقهم ولهم العطاء، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء. اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين. اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب.

اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام والمسلمين، وأعز المسلمين، وخذ بيده ولا تهم إلى ما تحب وترضى، إنك على ما تشاء قادر وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين